

بسم الله الرحمن الرحيم

منتدى الرواية

المنصة الرقمية لمدرسة الرواية السودانية

جلسة النقاش رقم (3)

رواية الرجل الخراب

لعبد العزيز بركة ساكن

السبت 27 يونيو 2020

قراءة: آن الصافي

رواية الرجل الخراب للكاتب عبد العزيز بركة ساكن

في مختبر الكتابة للمستقبل

جدول المادة:

– المقدمة

– المدخل

الرجل الخراب في مختبر الكتابة للمستقبل

1. معايير العمل

1.1 ثقافات وقيم إنسانية نبيلة وبيئية جيدة

1.1.1 التسامح

1.1.2 التنوع الثقافي

2. مسائل وقضايا إنسانية (سالبة)

3. فنيات ظاهرية مساعدة

3.1 العلم في الأدب

3.2 تداخل الأجناس

4. فنيات ظاهرية هامشية

5. عوالم قدمها النص

5.1 الهجرة

5.2 سمات المجتمعات

6. بداية ونهاية الشخصية الرئيسية للعمل

7. نهاية العمل

– الخلاصة

- مقدمة:

السلام عليكم ورحمة الله. تحية طيبة للحضور والمتابعين من كل مكان، تحية خاصة للضيف العزيز أستاذي وأخي عبد العزيز بركة ساكن.

شكراً لزملائي في المنصة وجم التقدير للقائمين على هذه الورشة والتي في منشطها الثالث شرفت بأن أقدم قراءتي لرواية الضيف القدير. لعمرى هذه مسؤولية عظيمة أن أضع حروف معلمي وأخي وزميلي عبد العزيز بركة ساكن المتفردة تحت عدسة منظوري للإبداع والذي وضعته عبر مشروعى الأدبي والفكري الثقافي للكتابة للمستقبل، حيث حملت معالمه ومحاوره وتطبيقاته في أوراق ومقالات فكرية ثقافية وكتب وروايات. آملة عبر السطور التالية أن أكون قد اسهمت في وضع إضاءة تليق بالعمل موضوع الورشة. تبقى محاولة وما توفيقنا إلا بالله.

- مدخل:

هل يجوز اختبار الهاتف النقال بأدوات تستخدم في فحص الهاتف الثابت؟

هل يجوز اختبار الطائرة بأدوات فحص تستخدم للدراجة الهوائية؟

حتماً جميع هكذا آلات وأدوات قديمة وحديثة وقادمة بإذن الله مهمة ومفيدة وجميعها استفاد ويستفيد منها إنسان الأمس واليوم وربما إنسان الغد أيضاً.

النصوص السردية التي قدمت وتقدم في الألفية الثالثة إن لم يتم تناولها بأدوات نقد توافقها لفقدنا متعة قراءتها مع فهمها بأفضل المساحات الفكرية الممكنة ولأضعنا فرص إكتشاف جمالياتها المقدمة، فهل نترك ذلك لأجيال لاحقة ربما تقف عندها وتتمعن جديدها في ذاك الحين وترسم استفهامات ماذا فعل القارئ الناقد قبل ذلك ليفقد متعة الاكتشاف والتمعن في الكنوز المقدمة وربما الاستفادة من ثرواتها.

ما طبيعة الكتابة التي تناسب عقولاً تحيا في عالم دائم التغير والتحول؟

الجواب: إنها الكتابة التي تأخذ المستقبل بعين الاعتبار وتحترم اشتراطات عصرنا الراهن.¹

¹ الكتابة للمستقبل ج1،-ص 17 ورقة الكتابة للمستقبل

الأدب الإنساني نتاج تجربة إنسانية لا تميز بين الاختلافات الشكلية أو البيئية ولا القبلية ولا الجينية... الخ، يبقى أمامنا نصوص تحوي فكراً وثقافة ولغة نعيشها مع كاتبها.²
مقولة إن المعاناة تولد الإبداع مقولة رهن النسبية. لكل مبدع أن يجعل عمله يتحدث عنه وليس العكس.³

في الألفية الثالثة قد يتطلب كل عمل إبداعي مقدم أدوات تخصه، عليه للمتلقى أن يسعى لمتابعة مسار الإبداع مجملاً والإلمام بالنقد الثقافي لاستيعاب التغيرات والتحولات المتسارعة التي لم تعدها البشرية من قبل.

- الرجل الخراب في مختبر الكتابة للمستقبل

الرجل الخراب رواية لمبدع تميز بروح التسامح والتنوع الثقافي والتركيز على قضايا المهمشين وعانى في موطنه من ممارسات الرقيب ونشد الهجرة، أياً كان دافعه لمغادرة أهله وأصحابه وكل موطن ترك فيه ذكرى بما فيه الغابة التي كان يلجأ إليها للكتابة والقراءة. رحل من السودان رحل عن شمس أفريقيا وقصد شمس أوروبا وطقسها.

ماذا بعد الهجرة؟ وجد كاتبنا القدير من رحب به وبإبداعه فعمل على نحت اسمه ومنتوجه الأدبي بنور ونار لفت المهتمين في مساحات جغرافية ربما ما كان ليصل إليها إن لم يغادر وطنه الذي (يحب).

حلق الأستاذ عبد العزيز بركة ساكن بروح المغامرة ليكتب رواية الرجل الخراب ويحملها جيناته الأصيلة من التوغل في عوالم الهامش والعبور بجسور المسؤولية إلى قلب المركز ليقول كلمته (جميعنا بشر سواسية كما علينا واجبات لنا حقوق نستحقها وعن جدارة).

مايلي بعض ما اتسمت به رواية الرجل الخراب وأهلها لدخول مختبر الكتابة للمستقبل ليس فقط لأنها كتبت في العقد الثاني من الألفية الثالثة، بل أيضاً لأنها تمتعت بمميزات توافق معايير وعوالم الكتابة للمستقبل:

² الكتابة للمستقبل ج1-، ص 91 ورقة الكتابة للمستقبل

³ الكتابة للمستقبل ج1-، ص 43 ثقافة المجتمع وثقافة الكاتب

1. معايير العمل

معايير العمل المقدم هي مواقع القوة والتميز سواء في الفكرة أو الموضوع أو القضايا أو اللغة أو تقنية السرد... جميعها أو بعضها كل حسب ما يرتأيه ويلمسه القارئ/الناقد من مظهر جمالي ويستطيع بخبرته وذائقته أن يضع لها مقياس يوائم العمل ويستطيع أن يعبر عنه بشكل يستطيع التعبير عنه بشكل عملي للتوثيق والتداول.

رواية الرجل الخراب تميزت بالتكثيف والاقتضاب فقدمت بعبقرية إبداعية عدد جيد من المواضيع في أقل من 120 صفحة. هذه المواضيع في صميم قضايا الراهن الذي يشغل الفرد والمجتمع الآن ومستقبلاً:

1.1 ثقافات وقيم إنسانية نبيلة وبيئية جيدة

يمكن أن يحث على استمرارها وتوريثها لمحاسنها ويؤكد على استدامتها.

رواية الرجل الخراب احتفت ببعض هذه الثقافات والقيم منها ما يمكن وصفه معاً بالتنوع الثقافي والتسامح، فقط للتسهيل سوف يردوا في قائمتين وهي نماذج فقط مما ورد في النص:

1.1.1. التسامح

- توني خطيب ميمي يهودي ومن أسرة يهودية وميمي مسيحية لأم مسيحية وأب مسلم. والأم شولز النمساوية وثقت به وأورثته منزلها وعربتها وكلابها.
- تعامل درويش مع الأم شولز المقعدة وتعامل نورا في آخر يومين من عمرها مع أمها.
- تعامل شولز مع الكلاب وإهتمامها بهم.
- نورا مسيحية نمساوية ودرويش مهاجر مسلم. نورا فنانة ودرويش صيدلي وراعي للكلاب.
- نادية صامويل انسجمت في التعامل مع مجتمع المهجر
- الراهب في الكنيسة حوارته ودوره تجاه المجتمع

1.1.2. التنوع الثقافي

- ميمي: تمتعت بالصفات الشخصية والشكل الخارجي الهجين الناتج من تزاوج سوداني مصري مسلم ووالدة نمساوية مسيحية:
 - ص 14 (كانت ميمي فتاة...).
 - شهادة توني ص 112 (ما جذبني لميمي هو غرابة..).
 - ص 112(عندما رآها أبي قال لي: أعبدها إنها إله نوبي أرسل إليك من أنهار كوش. حيث لا تحتسب).
- حسني درويش:
 - هويته سوداني- مصري ومن ثم نمساوي.
 - عمله مزارع وصيدلي ومن ثم راعي كلاب.
 - عاش حياته في قرى ومدن وعدة دول.
- نادية صامويل:
 - اتقنت لغتها الأم واتقنت العربية ومن ثم النمساوية
 - تعايشت (طوعاً وكرهاً) مع عدة ثقافات حيث أتت من مجتمع القرية في موطنها رواندا ومن ثم مصر والسودان والنمسا كما مرت بتجربة للتعامل مع بدو مصر وبدو السودان عدا التعامل مع الجهة القبلية التي اختطفها من أسرتها.

2. مسائل وقضايا إنسانية (سألبة)

تعيق المسار السوي لإنسان ومجتمع اليوم والغد و/أو بيئة اليوم والغد فيلزم الوقوف عندها لفهمها وتحليلها وتدارسها لإيجاد المخارج الممكنة، نموذج جرائم تنتهك/ضد الإنسانية.

في رواية الرجل الخراب عمل الكاتب على طرح قضايا ومواضيع تتعلق بعوالم المهمشين وما يمارس في حقهم من جرائم وبعض القضايا الأسرية والإجتماعية التي تأتي تحت بند العتف نقدم النماذج التالية:

- 2.2 التطهير العرقي: في رواندا التي تمارس على قبيلة التوتسي من قبل قبيلة الهوتو (ص 49) تسبب ذلك في هجرة أسرة نادي صامويل من قريتهم إلى المدينة (كيجالي).
- 2.3 الاتجار بالبشر: تم بيع نادي صمويل مع 10 أشخاص آخرون من قبل بدو السودان إلى بدو سيناء (ص39)
- 2.4 تجارة الأعضاء: ص 39 و ص 42 و ص 43
- 2.5 قتل المهاجرين-ضمن تجارة الرقيق: ص 39 ص 41 و ص 42
- 2.6 الهجرة الغير شرعية والمخاطر: فصل مخري الكلاب من ص 24 حتى ص 43 وفصل الفضيحة ص 45. ص 60 ص 61 ص 62
- 2.7 الإرهاب الديني والاسلامفوبيا: ص 12، ص 13، ص 61 ص 71 ص 92 ص 93 ص 98
- 2.8 العنف الأسري: دخل ثورة غضب ... ضرب ابنته على خدها بظهر كفه ص 20، محاولة قتل درويش لخطيب ابنته وحادثة قتل زوجته له ص 121 و ص 122

3. فنيات ظاهرية مساعدة

توضح فكرة ما للإقناع برأي أو تصرف حسب ما ترتأي الشخصية في النص، معبرة عنها ولا يهم أن تكون صائبة أم خاطئة

في رواية الرجل الخراب نورد بعض النماذج:

3.1 العلم في الأدب: (أن الحقيقة نسبية كما علمنا (البرت آينشتين)) ص 36، (التحليل المعلمي المشهور الذي يتحدث عن الديدان التي تعيش في ألياف عضلاته...) ص 40 و ص

3.2 تداخل الأجناس، الشعر في الرواية نستحضر نموذجين:

3.2.1 وضع كاتب قصيدة الأرض الخراب ل T.S Eliot ص 112 وظفها بشكل جيد لتهيئة الجو العام لما تنوي الشخصية المحورية حسني درويش عمله.

3.2.2 مقطع شعري بالانجليزية ورد في الرواية: The Waste Land by T.S. Eliot

ص 121 خدمت النص ووظفت بشكل جيد أوصل الحالة المهنية لنورا حيال
تغني البطل بها.

4. فنيات ظاهرية هامشية:

لا تضر إن حضرت ولا تسيء إن غابت نموذج:

4.1 وردت كلمات أغنية No Woman No Cray بالانجليزية ص 33

رأي شخصي، قد تكون عبرت فقط عن الحالة النفسية للشخصية المحورية حينها ومع ذلك إن حذف فلن تؤثر بحذفها من النص.

5. عوالم قدمها النص:

5.1 الهجرة

الهجرة تحدث للبشر دائماً وأبداً. هنا بعض نماذجها في الرواية:

- حسني درويش: هجرته في الصغر من السودان إلى مصر ومن قرية في مصر قرب أسوان إلى مدينة المنصورة لدراسة الجامعة ومن ثم من مصر إلى النمسا عبوراً باليونان فبولندا فيوغسلافيا.
- صلاح سعد من سجن اغردات ومن قبلها كرن باريتريا هاجر من موطنه لأسباب سياسية، كما ذكر لبطل الرواية حسني درويش، وعاش في مصر والسودان.
- المهاجرة نادية صامويل، رافقت الشخصية المحورية في طريق الهجرة من اليونان إلى النمسا. نادية من رواندا، قبيلة التوتسي، اختطفها قبيلة الهوتو. وكما قالت باعها المختطفون لبدو من السودان الذين بدورهم باعوها لبدو سيناء ومنها سافرت إلى القاهرة ومن ثم سلكت طريق الهجرة نحو النمسا. بينما غادرت أسرتها من القرية إلى مدينة كيجالي للبعد عن خطر الأعداء.

5.2 سمات المجتمعات داخل النص

- مجتمع القرية القبلي في رواندا ومعاناة التوتسي من التطهير العرقي
- مجتمع الصحراء-البدو في السودان ومصر قدم العمل نماذج خارجة عن القانون للتجارة في الرقيق وتجارة الأعضاء والقتل

- مجتمع شبكة التهريب، نموذج راشد الذي ساعد الشخصية المحورية للرواية في الهرب
- مجتمع الرعاية الطبية والممارسات الغير أخلاقية من المتاجرة بالأعضاء
- مجتمع المهاجرين في النمسا والتفافهم حول بعضهم البعض من عدة جنسيات (السودان، تركيا، وأكراد)

بداية ونهاية الشخصية الرئيسية للعمل

المشهد الأول يرى فيه البطل حسني درويش خريج كلية صيدلة المنصورة يعمل متدرباً في صيدلية يئأس من الانتظار والأوضاع الاقتصادية.

المشهد النهائي يبدو كثيباً سواء من خلال روايته هو أم رواية زوجته نورا.

ماذا حدث بين نقطة البداية والنهاية؟! إنه مشوار حياة إنسان كان من الممكن أن تكون أفضل وأيضاً كان من الممكن أن تكون أكثر بؤساً.

مجملاً شخصية تدعو للتأمل.

6. نهاية العمل

نجحت الرواية في أن تضع عدة نهايات من متخيل الكاتب وهذه آلية تحفز القارئ أن يشاركه تجربة التفكير فيما قد تكون عليه النهاية، لا يهم أن ترضي أحداً. بترك نهايات مفتوحة تكسب قارئ اليوم والغد متعة خاصة في تفعيل الخيال كما لو كان القارئ جزء من العمل المقدم.

الخلاصة:

رواية الرجل الخراب عمل مميز في مسار الكاتب المبدع عبد العزيز بركة سكان وفي كل قراءة جديدة لهذا العمل من الممكن أن يستخرج جماليات جديدة. حين نتمعن مما قدم من تنوع ثقافي وأن تحولات المجتمع ونسبية القيم أمر يحدث وسيستمر يحدث وعليه إذن المعايير والمفاهيم قابلة للتبديل والتغير في قاموس الأخلاقيات. ليس فقط لدرويش بل أيضاً لنورا ونراه جلياً كيف اقتنع تومي بتغيير ديانته؛ فهناك صمام

ما قد تملكه السلطة أياً كانت ولكن مالم نقتنع بأن التغيير يبدأ من الذات، وبدون تعقيدات في الشرح لكلمة الذات هذه. هنا الذات تعني الأنا التي يتمتع بها كل منا. يقيناً، ماذا يعني أن يكون لكل منا عقيدة ومنهج في الحياة؟ سمو يحملك بطاقة لتحقيق الخير لذاتك ولغيرك. أي لا ضرر ولا ضرار. هذه بذور مغروسة في الإنسان. بشكل أوضح، هي تطبيقات كالتى على هاتفك النقال. لك أن تفعلها إن شئت، والاستفادة القصوى منها تعتمد على درجة الوعي التي تتحصل عليها سواء بالبحث عنها، أو بالتمرن على اكتشافها وتوظيفها من خلال القراءة والتفكير. عليه أين كانت مفاتيح درويش؟ ليكون ذاك الشخص المسالم الذي بخطوة (الهجرة) تغيرت شخصته ليكون الشرس والمجرم؟ أين اختفت طبيته ماذا فعل معها أين والته كيف لا يتذكرها؟؟ جميعها أسئلة قد نجد اجابتها ضمناً في كثرة زيارته لمصر والسودان في السنوات الأخيرة.

حين نتحدث في أمر المستقبل علينا أن نوقن أننا كبشر قناعتنا قابلة للتغير وقبول أمور، كما شرحنا سابقاً، قد نرفضها الآن في حكم الممكن. يجب أن نشير إلى أن القيم والمثل والأخلاقيات في إقليمنا تعرضت لهزات عنيفة. كما مر بنا في الواقع كما في الرواية من جرائم أخلاقية من إبادات عرقية وتجارة بالبشر وتجارة الأعضاء. كيف هو الوضع النفسي لمن يمر بكل هذه التجارب؟ هنا نتمعن من نفسية وشخصية نادية صامويل كيف هناك قسوة وكيف هناك هدوء وفلسفات تخصها لمواصلة الحياة. على نطاق المجتمعات علينا تقريب عدسة مكبرة لفهم ما يدور في نواة تركيب الفرد والمجتمع، فلنكن أكثر دقة (الأسرة). نعم، بدون عمليات تجميلية هناك ما يدعو للقلق وبذات القدر هناك ما يدعو للإعجاب. إن الأمر ينطبق على جميع المجتمعات التي تضم دول إقليمنا وكذلك حضارات دول المهجر التي نختارها بديلاً.

الآن ثلاثة أو أربعة أجيال قد تجمعهم جدران منزل واحد (دروييش وابنته ولو استمر السرد لوصلنا إلى أحفاد درويش) جميع هذه الأجيال تتلاقى ولكن ينتج دوماً تفاوت في الثقافات والخبرات والقناعات أيضاً. الأوضاع الاقتصادية والخلفيات العلمية والخبرة الحياتية أثرت بشكل مباشر في لبنة جميع المجتمعات وعبر التاريخ.

بعد عقدين وأكثر من الزمان هل سيكون حال المجتمعات ولبنتها على ما هو عليه الواقع الآن؟ أعني مفهوم الأسرة والمجتمع والتعاملات في نسق العرف والعادات والتقاليد وكل ما يندرج تحت مسمى ثقافة.⁴

نأمل في ذلك، ونوقن بأن البقاء للأصلح، وسقوط تمثال كرستوفر كولومبس لم نكن لنستغربه فهذا فعل الطبيعة التوازن والعدل والنجاة بالقيم السامية والأخلاقيات العادلة. عليه توفير الطاقات للبناء خير من توزيعها لزرع الفتن مع الأخذ بعين الاعتبار قيمة قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ). علنا نحاول أن نفهم ونتفهم قيمة التنوع الثقافي وما يقدمه من قوى للفرد والمجتمع.

أكرر الشكر لأستاذي صاحب العمل وما يقدمه من رؤى وإبداع. مع الشكر للزميل والزميلة في المنصة واثاحة فرصة التواجد بينهم وتقديري واحترامي للحضور من كل مكان على الوقت والمواصلة.

آن الصافي

عجمان

26 يونيو 2020

تفاصيل الكتب الصادرة

- رواية "الرجل الخراب". (الطبعة الأولى). عبد العزيز بركة ساكن. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. 2015
- كتاب "الكتابة للمستقبل". (الجزء الأول). آن الصافي. دار فضاءات للنشر والتوزيع. 2016
- كتاب "الكتابة للمستقبل". (الجزء الثاني). آن الصافي. دار فضاءات للنشر والتوزيع. 2017

⁴ الكتابة للمستقبل ج1-، ص 25 تحولات المجتمع ونسبية القيم،